الاستثمار ودوره في بناء الأوطان وتحقيق السلام العالمي
٢٢ من جمادى الأولى ١٤٣٦هـ ١٣ من مارس ٢٠١٥م

أولا : العناصر :

١- نظرة الإسلام إلى المال.

٢- تنمية المال باستثماره الاستثمار النافع المفيد.

٣- دور رجال الأعمال في بناء وطنهم وخدمة أمتهم.

٤- الاستثمار ودوره في تحقيق العدالة الإنسانية.

٥- الاستثمار ودوره في تحقيق السلام العالمي.

٦- الاستثمار ودوره في الحدّ من الهجرة غير القانونية.

ثانيًا : الأدلـة :

الأدلة من القرآن الكريم :

١- قال تعالى:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[المائدة:٢].

٢- وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: ١٥].

٣- وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

٤- وقال تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}[هود:٦١].

٥- وقال تعالى:{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤) }[سورة قريش].

٦- وقال تعالى:{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً}[الكهف: ٤٦].

٧- وقال تعالى:{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد:٧].

٨- وقال تعالى: :{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ }[التوبة:٣٤-٣٥].

الأدلـة من الســنة :

١- عن أَبي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيّ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ : « إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ »(رواه الترمذى).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ سبحانهُ:{ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[المؤمنون :٥١] وَقَالَ (عزَّ وجلَّ):{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}[البقرة :١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ " (رواه مسلم).

٣- وعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ: « يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»(الأدب المفرد).

٤- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَلَهُ بِهَا أَجْرٌ ، وَمَا أَكَلَتِ الْعَافِيَةُ فَلَهُ بِهَا أَجْرٌ».(صحيح ابن حبان).

٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) (رواه مسلم).

٦- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا» (رواه البخاري في الأدب المفرد).

٧- وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَزْرَعُ زَرْعًا، أَوْ يَغْرِسُ غَرْسًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»(رواه أحمد).

ثالثًا : الموضـــــوع :

إنَّ الله سبحانه وتعالى أنعم على عباده بنعم كثيرة وعظيمة لا تعد ولا تحصى ، قال سبحانه:{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[النحل:١٨] ، ومن هذه النعم : نعمة المال ، والمال في الإسلام هو في الحقيقة مال الله ، والإنسان مستخلف فيه بوصفه خليفة الله في الأرض ، يقول سبحانه:{ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: ٧]، ويقول سبحانه: {وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} [النور: ٣٣].

ولقد طَبَعَ الله عزَّ وجلَّ الإنسانَ على حُبِّ المالِ وامتلاكه ، فقال سبحانه :{وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا }[الفجر:٢٠] ، كما جَعلَه من زينةِ الحياة الدنيا ، فقال عزَّ وجَلَّ: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً}[الكهف: ٤٦].

ولا ينكر أحد ما للمال من أهمية في تسيير أمور الحياة، والنهوض بالأفراد والأمم لتحقيق وسائل العيش الكريم، والرقى إلى مدارج التقدم، وصدق أمير الشعراء أحمد شوقي حيث قال:

بالعِـــلمِ والمـــالِ يَبني النّـــاسُ مُلْـــكَهُمُ لـم يُبنَ مُلْكٌ علـــى جهـــلٍ وإقـــــلالِ

وقد حرصت الشريعة الإسلامية على جعل حفظ المال وحمايته أحد مقاصدها الأساسية ؛ لأنه الثروة التي من خلالها يستطيع الإنسان أن يحقق الكثير من الخير لنفسه ولمجتمعه.

فالمال قِوام الحياة الإنسانيَّة ، به يؤدي الإنسان رسالته، وبه يقضي حاجاته، ومع أنَّ المال يكتسب هذه الأهمية في الحياة ، إلا أن الإسلام جعله وسيلة لا غاية ، فالمال في الإسلام وسيلة لعبادة الله تعالى وإقامة شرعه المطهر، ووسيلة للصلاح والإصلاح ، ووسيلة للبر والصلة والتكافل بين المسلمين، ووسيلة لدعم قضايا المسلمين ، فلا يجوز للإنسان أن يرفعه فوق منزلته ، ولا أن يكون هو الغاية في حياته.

فالمال إذا استخدم في الصلاح كان نعمة ، وما أحسنَ تعبيرَ النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ارتِباطِ صَلاحِ المالِ بِصَلاحِ العَبدِ ، فلقد روى البخاري في الأدب المفرد عن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال له: «يَا عَمْرُو ، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ».

ولما كان الإنسان مجبولاً على حب المال، حريصاً على طلبه وتحصيله وجمعه– لأن به قوام حياته وانتظام أمره ومعاشه – جاء الشرع الحنيف بالحث على السعي في تحصيل المال واكتسابه مما أذن الله تعالى به ، وتنميته بالطرق المشروعة من خلال الكسب الحلال والعمل المباح ، يَقُولُ (صلى الله عليه وسلم): « إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ »(رواه الترمذى).

لقد أباح الإسلام كل كسب ليس فيه اعتداء ولا ظلم ولا ضرر على الغير دون سبب مشروع ، قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[البقرة:١٧٢]. ويقول جلّ شأنه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء: ٢٩] ، وقال تعالى : {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } [الملك: ١٥].

ومن هنا فقد حثَّ الإسلام على تنمية المال وزيادته باستثماره الاستثمار النافع المفيد ، والاستثمار – بلغة العصر – هو استغلال المال أو توظيفه بقصد الحصول على عائد أو ربح يعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

وهو كذلك استغلال المال في نشاط إنتاجي بقصد زيادة هذا النشاط ، وتوظيفه في مشاريع إنتاجية صناعية ، أو زراعية ، أو تجارية ، أو خدماتية ، بهدف تأمين الضروريات ، وبناء اقتصاد قوي، ومن ثمَّ فإن الاستثمار يعتبر فرضًا من فروض الكفاية ، وذلك بناء على قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

فالاستثمار ليس هو الربح فقط ، وإنما هو وسيلة للحصول على الربح ، إذ إن الإنسان مفطور على الرفعة والعلو والتسامي، ومقتضى ذلك الاستزادة من نعم الله تبارك وتعالى، ولا يتأتى له ذلك إلا بزيادة الإنتاج ، ولا يزيد الإنتاج إلا بالاستثمار النافع المفيد.

ومما لا شك فيه أن الإسلام قد حثَّ على ضرورة تحريك المال واستثماره ، ومزاولة التجارة للنفع والانتفاع، وتحريك اقتصاد الدولة ، حتى يكون الإنسان في حياته عاملا معطاء

ومعمرًا في الأرض حتى يدركه الموت أو تأتيه الساعة ، قال (صلى الله عليه وسلم) : " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا"[مسند أحمد].

فحين نوجه الأموال الفائضة من الاستهلاك إلى الاستثمار تنعدم البطالة ، وتظل عجلة الإنتاج دائرة ، وبالتالي ينشط الاقتصاد ليعود بالنفع على أفراد المجتمع كله.

أما إذا اكتنز المال وحجبت منفعته عن المجتمع أو الاستفادة منه دون عمل اقتصادي فإن ذلك من الأمور والتصرفات المرفوضة في الإسلام ، يقول سبحانه وتعالى :{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[التوبة:٣٤]. وتوعد الله تعالى من يفعل ذلك في قوله :{ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ }[التوبة:٣٥]. من هنا يتضح أن الإسلام قد عمل على تشجيع الاستثمار وتنمية الأموال حتى تتحقق التنمية بكافة أشكالها ، ومن ثم يتم النهوض بالمجتمع.

فصاحب المال مطالب باستثماره لأن في ذلك نماء للمال من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه يفتح الباب أمام الكثيرين لإيجاد فرص عمل توفر لهم مصدر رزق ، ومن ناحية ثالثة ينتفع المجتمع بإقامة المشروعات التي تدفع به إلى التقدم والازدهار.

والمتأمل في أهداف الاستثمار يرى أن من أعظم أهدافِ الاستثمار محاولةَ النهوض بالمجتمع ، والمشاركة الفعَّالة في تنمية اقتصاده ؛ من خلال إعمار الأرض ، يوضح هذا قول الله تعالى : {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}[هود:٦١] ، حيث إن الإعمار تكليف شرعي لتحقيق استمرارية الحياة البشرية، ويتجلى ذلك التكليف بالنشاط الاقتصادي ، والمتمثل في تحقيق المنافع التي تحقق هدف إعمار الأرض واستثمار مواردها وتثمير طيباتها ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَلَهُ بِهَا أَجْرٌ، وَمَا أَكَلَتِ الْعَافِيَةُ فَلَهُ بِهَا أَجْرٌ» .(صحيح ابن حبان).

و(الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ): هِيَ الَّتِي لَمْ تُعَمَّرْ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ تَشْبِيهًا لَهَا بِالْمَيْتَةِ لِعَدَمِ الِانْتِفَاعِ بِهَا بِزَرْعٍ أَوْ غَرْسٍ أَوْ بِنَاءٍ أَوْ نَحْوِهَا. و(الْعَافِية): الطُّيُورُ وَالسِّبَاعُ الطَّالِبَةُ لِأَرْزَاقِهَا ، الرَّاجِعَةُ إِلَى أَوْكَارِهَا.

كذلك يحفز الإسلام الإنسان على الاستثمار من خلال إنتاج الثروة وتنميتها حفاظًا وتأمينًا لحياة ذريته وأقاربه بعد وفاته ، مما يدفعه إلى فتح آفاق جديدة تؤدي إلى توفير سوق العمل التي تستوعب اليد العاملة ، وتحد من البطالة ، وتؤمن ضروريات المجتمع ، مما يحقق للأمة أمنها

الاقتصادي، ويشجع على المزيد من الاستثمار ، فعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَعُودُنِي ، عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي ، فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ ، وَأَنَا ذُو مَالٍ ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلاَّ ابْنَةٌ ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي ؟ قَالَ : لاَ ، فَقُلْتُ : بِالشَّطْرِ ؟ فَقَالَ : لاَ ، ثُمَّ قَالَ : الثُّلُثُ ، وَالثُّلْثُ كَبِيرٌ ، أَوْ كَثِيرٌ ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ..) (رواه البخاري).

إن الاستثمار يسهم في التطور الاقتصادي والاجتماعي في البلاد ، وتزداد أهميته في كل جوانب حياتنا، وتنامي دور مؤسسات المجتمع المدني ودورها في تحقيق العدالة الاجتماعية والإنسانية.

وبما أن رجال الأعمال جزء لا يتجزأ من المجتمع فإن عليهم حقوقًا وواجبات للوطن الذي ينتمون إليه ويعيشون فيه، ومن هذه الحقوق : الإسهام في بناء وطنهم والمسارعة إلى الوقوف بجانب أبنائه ، وذلك من خلال استثمار أموالهم لتنشيط الاقتصاد الوطني .

ولا يمكن أن يقوم بذلك إلا رجال مخلصون قادرون ، يشاركون في تشجيع الاستثمار ، وتنمية المجتمع، وفي الوقوف بجانب الفقراء ومحدودي الدخل ، إنهم لا يقومون بهذا الدور الاجتماعي الفعال برًّا وإحسانًا ، بل هو واجب وطني يتحتم عليهم أن يقوموا به ، وخاصة في مثل هذه الظروف التي تمر بها البلاد ، وذلك من باب أداء فريضة دينية استنادًا لقوله تعالى:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[المائدة:٢]، وقول نبيه (صلى الله عليه وسلم): (... وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ...) (صحيح مسلم).

كما يحتم الواجب الوطني على رجال الأعمال وغيرهم العمل على تخفيف أعباء الحياة على غير القادرين من خلال استثمار الأموال بعمل مشروعات اقتصادية تسهم في محاصرة ظاهرة البطالة من جميع جوانبها.

جدير بالذكر أنّ هناك دورًا هامًّا على المؤسسات المعنيّة تجاه هذه الظاهرة، حيث إنها تحتاج إلى كثير من الرعاية والعناية ، إلا أنها قد تعجز عنها الحكومات وحدها ، ومن هنا فلا يقتصر الأمر على عمل الحكومة فقط ، بل الواجب على كل أفراد المجتمع وبخاصةٍ رجال الأعمال ومؤسسات المجتمع المدني التعاون من أجل إيجاد الحل الناجح والسريع لتلك الظاهرة .

وعلى هذا فإن دور رجال الأعمال المصريين وغيرهم من المستثمرين في مساعدة مصر يتحقق عن طريق ضخ الأموال والاستثمارات لفتح مشاريع وشركات ومصانع ، وكذلك المساهمة في إيداع المبالغ المالية لدعم الاقتصاد الوطني.

فإذا ماتم هذا الاستثمار النافع والمفيد – بهذه الطرق المشروعة – وقام رجال الأعمال المخلصون بمسئولياتهم نحو وطنهم وخدمة أبنائه فإن ذلك يساعد على تحقيق العدالة الإنسانية بين أبناء الوطن جميعًا.

إن الاستثمار الجاد والآمن الذي يهدف إلى النهوض بالفرد والمجتمع ، ولا يهدف لغنى طائفة على حساب أخرى ، والذي يهدف إلى الارتقاء بالشركات والمؤسسات وتوفير فرص عمل للشباب ، وتوفير دخل مناسب لغير القادرين على العمل ، ويعمل على زيادة الرخاء ، هو الوسيلة لتحقيق أمن المجتمع.

إضافة إلى أن الاستثمار له دور هام وعظيم في تحقيق السلام العالمي ، فهو أحد الأركان الأساسية التي ينعم بها العالم أجمع وهو الأمن والأمان والسلم والسلام ، فهما – الاستثمار والسلام – وجهان لعملة واحدة، حيث إنه لا استثمار بدون أمن وأمان ، ولا أمن بدون استثمار ونشاط اقتصادي ينعم به المجتمع، لذلك كان الأمن نعمة عظيمة أنعم الله تعالى بها على قريش ، فقال سبحانه : {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)}[سورة قريش].

كما أن توزيع خريطة الاستثمار توزيعًا حكيمًا وعادلاً وعلميا ومدروسا يسهم في الحد من الهجرة غير القانونية بين الدول ، كما يحد من الهجرة من القرى إلى المدن داخل القطر الواحد ، ويحد من الهجرة من بعض المحافظات الفقيرة والنائية إلى العواصم لما بها من فرص عمل ، فلو أننا أحسنا توزيع الاستثمار لأدى إلى حل كثير من المشكلات.

ومن هنا فإن التعاون بين جميع الدول أصبح ضرورياً في تحقيق الأمن والسلام ، من خلال الإسهام في تنمية واسعة النطاق تتصف بالشمول والاستمرارية حتى تفي بحقوق الشعوب وحتى تكون سبيلاً لتحقيق حياة مستقرة للعالم أجمع.